فنون عديدة ، تدل على سعة علمه ، وغزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين»[1].

وقال أبو العباس ابن سريج : «محمد بن جرير الطبري فقيه العالم»[2].

وقال الحافظ الذهبي: «الإمام العلم الفرد ، الحافظ أبو جعفر الطبري ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف» وقال أيضاً: «كان ثقة ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه ، والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك»[3].

ومن هذا يظهر لنا ما يتمتع به الإمام الطبري من الملكة العقلية ، والتفوق العلمي الذي وصل إليه ، والنبوغ الفكري الذي اعتمد عليه ، مما كان حافزاً لوالده أن يرعاه ، ويأمل فيه الخير الكثير ، ويبذل له المال الواسع ، وييسر له النفقات في سبيل طلب العلم ، والتفرغ له ، والاستزادة منه ، والرحلة إلى منابعه ومصادره ، وتوفير كل طاقاته للسهر على تحصيله ، دون أن يحتاج للتكسب أو العمل ، فجنى الخير العميم في العلوم المختلفة حتى أصبح دائرة معارف ، ينهل منها طلابه وتلاميذه ، ودونها في كتبه ومصنفاته لتستفيد منه الأجيال اللاحقة ، وتدخر على مر التاريخ ، وتصبح مرجعاً للعلماء ، ومصدراً للباحثين ، وموئلاً لرواد المعرفة ، وحجة لطلاب الحق.

صفات الطبري وشمائله:

وكان الطبري ، رحمه الله تعالى ، فوق علمه الغزير ، كثير الفضل ،

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٥٤٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٢٣ ، وقال طاش كبري زاده: «أحد أئمة الدنيا علماً وديناً» (مفتاح السعادة ٢/ ٣١٥).

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠ ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٠.

شديد الورع ، ذا شخصية قوية ، وجرأة على الحق ، فلا تأخذه في الله لومة لائم ، مهما لحقه من الأذى ، أو التشنيع من الجاهلين أو الحاسدين أو المغرضين ، وكان أهل العلم والدين معترفين له بذلك ، ولا ينكرون علمه وفضله وشمائله .

وكان الطبري شديد الزهد في الدنيا ، لا يلتفت إليها ، ولا يقبل العطايا والهبات والتبرعات ، وكان قانعاً بما يرد عليه من تركة والده التي خلفها له والده بطبرستان ، وعرض عليه القضاء فامتنع وأبى[1] .

قال ابن كثير : «وكان أسمر ، أعين ، مليح الوجه ، مديد القامة ، فصيح اللسان ، روى الكثير عن الجم الغفير ، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث ، وصنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل ، الذي لا يوجد له نظير ، وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع»[2] .

ونكتفي بهذه النبذة المختصرة عن مقومات التفكير عن الطبري ، والصورة المصغرة عن حياته ، لنخصص البحث عن الجانب الفقهي للإمام الطبري ، ابتداء من طلبه للفقه إلى بلوغه درجة الاجتهاد ، وتبوئه منصب الإمامة في المذهب الخاص به ، وعطائه المبارك في المصنفات الفقهية .

الطبري يطلب الفقه

تعريف الفقه وأهميته :

الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية ، أي هو معرفة الأحكام التي تتوقف على مصدر شرعي ،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٢٥ ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٢ .

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٤٥ .